جامعة زيان عاشور بالجلفة
كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة أنسنة

للبحوث والدراسات

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد الثالث
نوفمبر 2011

ISSN 2170-0575

قَائِمَةُ المحتويَاتِ

الصفحة	العنوان	الكاتب
06	إدارة الجودة الشاملة وإمكانية تطبيقها في المدارس السعودية في الخارج	أحمد بخيت العدواني الزهراني
30	إستراتيجية الإصلاح والتطوير التنظيمي وأثرها على أداء العاملين	حساف هشام حواطي آمال
48	الإنحراف (الجريمة) والسياسة الجنائية في ظل تغير الأبنية الإجتماعية	مهدي عمر
62	مبادئ عامة لممارسة العمل الإجتماعي مع المسنين	ذهبية أوموسى
87	دور إخصائي الخدمة الإجتماعية المدرسية في خدمة الجماعة وتنظيم المجتمع المدرسي	بن العربي امجمد
106	مقومات الحكم الصالح في الفكر الإصلاحي	جباري مسعود
121	دور الأوقاف في الحياة الإجتماعية في بلاد الأندلس	عبد القادر ربوح
140	الحكومة الإلكترونية بين صعوبة التطبيق وحتمية التنفيذ	أعمر يوسفي
154	السيميائيات والدلاليات اشكال الحدود الإصطلاحية	بن مسعود محمد العربي
168	استراتيجية خصخصة الأندية الرياضية في الجزائر	حرواش لمين خاضر صالح
207	تجربة الكتابة بين الشعر والصوفية عند أدونيس	أخضري عيسى

السيميائيات والدلاليات أشكال الحدود الاصطلاحية

ابن مسعود محمد العربي
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة زيان عاشور بالجلفة

ينصرف الكثير من الباحثين إلى استعمال السيميائياتsémiotique كمقابل للدلاليات sémantique أو على العكس من ذلك، وهو الشيء الذي يصفه برنارد توسان Bernard Toussaint بالخلط؛ بقوله: ((إن الخطاب الصحفي يخلط بين استعمال الدلاليات والسيميائيات، وفى بعض الأحيان لا نكاد نلامس الاختلاف الموجود بين الاصطلاحين))[1]. وينبهنا إلى هذا جون ماري كلنكينبريج Jean Marie Klinkenbreg أيضا؛ بقوله[2]: ((الدلاليات لا يمكن خلطها بالسيميائيات))؛ ويقول أمبرتو إيكو Umberto Eco[3]: ((تبدأ السيميائيات حالما يبدأ بالظهور ذلك الكيان الذي مازال غامضا، والذي هو المعنى، ولا يعني هذا أبدا خلطها بالدلاليات التي تعنى أو تظهر بأنها تهتم بالمعنى والدلالة)).

وفي سياق هذا الإشكال، كتب جورج مونان Georges Mounin بعنوان عريض السيميائيات ليست على الإطلاق الدلاليات[4]، ليلاحظ من جملة ما يلاحظ، وجوب الاحتراس من استفحال خطر وصف الدلاليات بأنها دراسة للدلالات كلها، مثل شكل السحاب وعلوه، ومنحنى تخطيطي، وارتفاع درجة حرارة المريض، وسلسلة التبادلات النقدية في البورصة، ووجود نبتات في أرض دون أرض أخرى، وهيئة إناء في مجموعة حفريات أثرية... الخ، ومن ثمة كيف يمكن أن نستكشف أو نؤول دلالة قرينة ما أو أي عرض مرضي؟ هل نحصل عليه بالطريقة نفسها المستعملة في فك سنن codeدلالة العلامة اللسانية؟

يحتمل عدم التكلم عن الدلالة هنا أو حتى التكلم عن الدلاليات في هاتين الحالتين سواء بسواء، وذلك نتيجة خلط وقائع حاملة لدلالة بالوقائع اللسانية التي تضطلع

بنقل الدلالات اللسانية. ينضاف إلى ذلك أن خطورة هذا الخلط تزداد تعاظما عندما تنتقل بمزايداتها إلى مجالات أخرى، تكون أيضا منشغلة بمواضيع من شأنها تحويل الدلالات ونقلها مثل: المسرح، والتصوير، والنحت، وصناعة الأفلام، والملصقات، والسنفونيات الموسيقية، ومادامت هذه الظواهر الحاملة للدلالة تستند إلى النسق نفسه، مما تكون الوحدات اللسانية بالنتيجة نفسها، وعليه فمن المجازفة فهم هذه الظواهر بالتكلم عن الدلاليات الموسيقية أو التصويرية أو الأفلام، ومن ثمة لا تتم معالجتها إلا في الدلاليات اللسانية. وعلى هذا الأساس حسب[5] جورج مونان فإنه ينبغي تجاوز هذا الخلط الاصطلاحي، لذلك ينبغي أن لا نخلط الدلاليات بالسيميائيات التي هي علم يدرس السيرورات الدلالية أو الأنساق التواصلية.

وإذا انتقلنا إلى الثقافة العربية نقف عند الإشكال نفسه الملاحظ على مستوى الثقافة الغربية، إذ ألفينا الأستاذ أحمد يوسف في أحد مقالاته يعطيها الوصف نفسه؛ حيث يقول[6]: « إن كثيرا من الباحثين يخلطون بين علم الدلالة والسيميائية لوجود نقاط اتفاق وتلاق بين هذين العلمين وبخاصة إن مفهوم الدلالة لدى العرب يتطابق مع مفهوم العلامة كما يعرفها السيميائيون المعاصرون فإن هناك فروقا كبيرة بينهم ».

وفي سبيل استجلاء الفرق بين الحدين، نحاول رصد بعض مواقف المطابقة بين الاصطلاحين على مستوى الكتابة السيميائية العربية، ويمكننا أن نقف على حضور للمسألة في سياقين من الاستعمال لدى المحدثين:

1- في سياق محاولة التأسيس للدرس السيميائي لدى القدماء من العرب بالعودة إلى جهودهم الدلالية ومقارنتها بما جاءت به السيميائيات المعاصرة، وهي تكتسي طابع تراثي تأسيسي.

2- وإما في سياق دراسات حديثة تحاول الاستفادة من النماذج السيميائية الغربية في صورة ترجمات، أو تطبيقات على النصوص وهي ذات طابع حداثي.

لقد اهتم القدماء من علماء العربية بمبحث الدلالة، بيد أنه لم يفرد لها علم خاص مستقل برأسه؛ ولم تستقم في علم يجمعها تحت تسمية تغطي جميع صنوفها؛ وتمظهراتها العلمية والعملية؛ بل بقيت تتقاسمها اختصاصات عديدة كالنحو والبلاغة وعلم الأصول والفقه والتفسير والحديث، وبجهودهم تلك عدوا- من قبل العديد من المحدثين-

أنهم توصلوا إلى ((وضع نظرية مستقلة وشاملة، يمكن اعتبارها أكمل النظريات التي سبقت الأبحاث المعاصرة)) [7].وهم تاليا ((أول من وضع الأسس العامة لنظرية العلامات أو السيمياء))[8]. ولعل هذا كان أحد الأسباب الوجيهة المترسبة وراء إشكال استعمال السيميائيات كمقابل للدلاليات، وذلك لما جعل بعض المحدثين مفهوم الدلالة عند القدماء من علماء العربية شبيه بمفهوم العلامة عند المحدثين، وبذلك انطلقوا في البحث عن وجوه التقارب والتباعد بين ما أتى به المحدثون حول العلامة وما أتى به القدماء لمفهوم الدلالة، في شكل إسقاطات للمفاهيم بعضها على بعض في كنف الدراسة المقارنة، ومن أمثلة ما جرى مجرى ما ذكرنا، ألفينا عمل عادل فاخوري في كتابه الموسوم بـ: علم الدلالة عند العرب – دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة و مقال:» علم الدلالة عند العرب « السيمياء».

وبالنظر إلى ما سبق يمكن القول إن ماضي السيميائيات لم يبرح حدود الدلاليات، فكانت الصورة التي رسمتها الدلاليات لمفهوم الدلالة أو المعنى قديما مبررا نظريا لمطابقتها بالسيميائيات من جهة موضوعها المتمثل في العلامة لدى المحدثين. لكن هل لنا الحق أن ننزل بالعلامة بوصفها موضوعا واسعا إلى مفهوم الدلالة اللسانية بوصفها موضوعا محددا؟ وهل الدلالة اللسانية حظها من الدرس في الدلاليات مثل حظ دلالة العلامة اللسانية في الدرس السيميائي؟ وإن كان كذلك، فبماذا نفسر تجاوز السيميائيات ذلك إلى البحث عن الدلالة ضمن عالم الخطاب؟ وإلى البحث عن الدلالة في جل تمظهراتها وأشكالها؟

وعند التأمل في ما كتبه المحدثون حول تمظهر السيميائيات في الدرس الدلالي القديم، ألا يمكننا القول بأن دراستهم بقيت في حدود التأسيس؟ لذا نجدها وجهت اهتمامها إلى أعمال بورس ودو سوسير فقط، ولم تلتفت - في أغلبها الأعم - إلى الأعمال الأخرى التي جاءت فيما بعد، وعليه ألا يمكن القول بأنها اقتصرت على الفترة الأولى من عمر البحث السيميائي، ولم تول عنايتها إلى مراحل اكتمال السيميائيات ونضجها إن صح التعبير؟

وإن أبنا إلى الكتابات السيميائية العربية الحديثة، نجد من أمثلة تطابق استعمال اللفظين تعريف الدلاليات بالسيميائيات في كتاب محمد ناصر العجيمي الموسوم بـ: في الخطاب السردي؛ حيث يقول[9]: ((يطلق على العلم نفسه اسم العلامية ترجمة لمصطلح السيميولوجية)). وبالنظر إلى ما أتى على ذكره ناصر عجيمي، يبدو أنه اهتم بمسألة تسمية العلم، وما تثيره من تساؤلات وصعوبات أمام الباحث في هذا الميدان.

إلا أنه فضل تسمية السيميائيات بعلم الدلالة، لانشغاله بالسيميائيات السردية التي تعود أصولها إلى كتاب غريماس الدلاليات البنوية.

وفي سياق الإشكالية نفسها، نجد عبد الله حمادي يمزج بين استعمال مصطلحي الدلاليات والسيميائيات بقوله [01]: ((يقف اليوم علم الدلالة – أو علم العلامات أو السيميوطيقا- في مقدمة علوم اللسان... ويهتم علم الدلالة بالعلامة والتي يسميها البعض بالرمز أو الدال)). وهذا الرأي ينطوي على استعمال اعتباطي للمصطلح يظهر من خلال تعدد المكافئ العلمي للمصطلح الواحد، ذلك أنه جعل الدلاليات(علم الدلالة) مرادفة للسيميائيات (السيميوطيقا) وعلم العلامات، ولكي لا يتعثر المصطلح ويتشتت[11] ينبغي التخلص من المترادفات، ينضاف إلى ذلك الاختلافات الاصطلاحية والمفهومية التي تبين عنها المصطلحات الثلاثة الرمز والعلامة والدال.

1-التداخل اللغوي والاصطلاحي والمعرفي بين الحدين في الثقافة الغربية:

1-1- التداخل اللغوي:

إن إحدى النقاط الأساسية التي يثيرها إشكال التداخل الاصطلاحي ما بين الحدين، اشتراكهما في الأصل اللغوي الواحد، فإذا عدنا إلى حدي السيميائيات والدلاليات من حيث الاشتقاق اللغوي، نلحظ تجانسا صوتيا بينهما (السيمانتيك و السيميوتيك) استأنس له الباحثون، فكانتا في استعمالهم وجها واحدا مستقره البحث في الدلالة أو العلامة، المتماثلتان في الاستعمال أيضا لديهم، ولاسيما أنهما يعودان إلى جذر اشتقاقي واحد في اللغة اليونانية، فمصطلح «الدلاليات» sémantiqueمشتق من الجذر الإغريقي sêmainô (الدلالة) التي هي بذاتها مشتقة من كلمة sêma التي تعني العلامة»[21] والسيميولوجيا حسب دو سوسير[31] مشتقة من الجذر الإغريقي نفسه، وتحمل معنى العلامة هي الأخرى.

لكن تكاد تكون الحدود بين السيميائيات والدلاليات من حيث اشتقاقهما مموهة ومتداخلة، ولهذا وجدنا جون ماري كلنكينبريج[41] يشير إلى أن مصطلح الدلاليات هو جزء فرعي من اللسانيات، بيد أن المصطلح ذاته سيؤول في آخر المطاف إلى السيميائيات برمتها، حيث يتم تطبيقه في الجزء الخاص بمعنى العلامة، في حين تضرب الدلاليات بسهمها في اتجاهات فلسفية عديدة تجمعها تحت اسم الدلاليات العامة.

وفي السياق نفسه يرى[51] الكاتب أن هناك مصطلحات أخرى مقاربة لهذا المصطلح منها « السيمسيولوجيا» sémasiologie التي كانت في البداية مرادفة لمصطلح الدلاليات اللسانية. وبعد ذلك خصصت لتعين منظورين ممكنين للدلاليات اللسانية، الأول منهما يعنى بدراسة معنى الكلمات انطلاقا من أشكالها، قصد معرفة الطريقة التي تحيل بها هذه الأشكال إلى مفاهيم، والثاني منهما يهتم بالطريقة التي المفهوم يعين بها من خلال الكلمات، في الحالة الأولى: نتكلم على sémasiologie وفي الثانية onomasiologie (المشتقة من Onoma الفعل الإغريقي الذي يعني الاسم)، وكذلك هناك مصطلح sémiogaphie التي تعين علم الكتابة sténographie التي تعين سنن علم الخرائط cartographiques.

و إلى هذا الحد يمكننا القول إن هناك شبها بين المصطلحين يتجلى فيما يأتي:

1ـ السيميائيات و الدلاليات مجالان معرفيان مشتقان من لفظ واحد في الإغريقية يتطابق فيه استعمالهما لاشتراكهما في الأصل. وعليه يتجلى كل منهما منشأه مطابق للآخر من حيث وحدة المادة الموضوعية الممثلة في العلامة أو الدلالة.

2ـ التجانس الصوتي بين اللفظين الناجم عن هذا التداخل الاشتقاقي اللغوي.

2ـ1ـالتداخل الاصطلاحي والمعرفي:

إذا كانت الدلاليات جزءا من اللسانيات واللسانيات جزءا من السيميائيات كما قال دو سوسير، فإن الدلاليات مدعوة في الأخير إلى أن تنضم تحت راية السيميائيات بوصفها رؤية تستوعب جل الظواهر الدلالية بكل تمفصلاتها في العالم الذي نحيا فيه سواء أكانت لفظية أم غير لفظية. انطلاقا من وجهة النظر التي ترى وجوب معالجة مسائل الدلاليات ضمن المنظور الواسع للسيميائيات حسب ما دعا إليه هاربرت بركلي [61] لكن ههنا السؤال الذي يطرح نفسه، ماذا يمكن أن يحدث لأبعاد العلاقة هاته، إذا أخذنا بمقولة رولان بارت ((السيميائيات هي جزء من اللسانيات))[71] ؟ وفقا لهذا أليس من الممكن النظر إلى الدلاليات اللسانية بأنها أعم وأشمل من السيميائيات؟ ألا يمكننا بناء نظرية سيميائية لدراسة الأنساق الدلالية غير اللسانية يحتذي فيها بأنموذج الدلاليات اللسانية؟

تبدو في الحقيقة الإجابة عن السؤال بسيطة، فقلب المسألة كما فعل رولان بارت بمقولة دو سوسير تبدو مستحيلة وغير متحققة مع الدلاليات، لأنه إذا ما طرحنا السؤال الآتي: أي أنموذج دلالي لساني يمكننا احتذاءه من هذا الزخم الهائل من النظريات الدلالية اللسانية؟ سيؤول سؤالنا لا محالة إلى الفشل؛ لأن الدلاليات على خلاف اللسانيات لم يكن لها حول لتصل إلى صياغة قواعد كلية عامة؛ لانصرافها إلى الجوهر بدل الشكل؛ مما كان سببا في عدم ثباتها نظريا على رؤية واضحة المعالم؛ ((ولم تصل بعد إلى بناء دلاليات تضطلع بتصنيف أشكال المدلول اللفظي))[81]. لهذا السبب نجدها مرجئة في اللسانيات البنوية على الرغم من النتائج التي حققتها على مستوى دراسة الأشكال اللسانية، ولهذا ألفينا رولان بارت يشير إلى ضرورة التذكير ((بأن المدلولات ليست على الإطلاق جزءا من اللسانيات عند بعض اللسانيين الذين يرون بأنه ينبغي الاهتمام بالدوال وحسب، وأن التصنيف الدلالي ليس من مجال اللسانيات))[91]. مما يستدعي الإقرار بأفضلية تبني التميز الذي اقترحه غريماس[02] بكون أن الدلاليات تؤول إلى المحتوي والسيميائيات تؤول إلى التعبير.

لم يستطع أحد أن يقدم نظرية دلالية كافية إلى اليوم حسب جون لاينز[12] Johns Lyons، وهذا ما ينبغي التنبيه إليه عند الخوض في مبحث الدلاليات، وبخاصة إنه لم يحرز أي تقدم مسجل في البحوث النظرية؛ حيث إن غنى المصطلحات الدلالية وتعرجها، أدى إلى غياب الاتساق والانسجام لدى مختلف من كتبوا في هذا المجال.

لقد اكتفت الدلاليات اللسانية بصياغة مجموعة من التحديدات، تفتقر في جملتها إلى الانسجام والاتساق موضوعا ومنهجا، ذلك أنها تعرف بـ:

1ـ «دراسة المعنى»[22].

2ـ «دراسة معنى الكلمات»[32].

3ـ «دراسة معنى الكلمات والجمل و الملفوظات»[42].

يبدو أن هذه الحدود ـ وعلى الرغم من تقاربها الشديد ـ لا تقدم لنا إجابة واحدة إلى حد الانصراف عن سؤال الدلالة، ذلك أنه بمقدورنا القول؛ إن هذه التحديدات في مجملها تعكس النقطة الوحيدة التي يتفق الدلاليون حولها، والمتمثلة في الدلالة، لكن هل

يمكن وصف هذا بكونه اتفاقا إذا كانت الدلالة يختلف فهمها من واحد لآخر؟

لا يقدم لنا الحد الأول صورة واضحة وذلك لعمومه وإطلاقه في الآن ذاته، ينضاف إلى ذلك أنه ((يظل قابعا في حدود مفهوم تغير شكل المعنى، ويميط اللثام عن الخصائص اللسانية للدلالات فقط، دون أن يهتم بأوجهها الأخرى الفلسفية والسيكولوجية))[52].

يحدد الحد الثاني الدلاليات المعجمية بأنها دراسة ((معنى الكلمات بوصفها وحدات يتمحور حولها المعنى في اللغات))[62] ، ومادامت تهتم بالعناصر المعجمية في اللسان، فهي بهذا التصور الدلالي تقترب- في جزء منها – من المعجميات ((أي العلم الذي يريد أن يثبت مبادئ صناعة المعاجم وطرقها))[72]. غير أن النظر إلى مثل هذا الصنيع وفق تصور علمي لمعاني الكلمات لا يقدم لنا يقينا عن معانيها، حتى وإن كان تصنيفها للدلالات يقوم بإخضاعها إلى مجموعة من الأسيقة الاستعمالية التي يمكن أن ترد فيها، كما هو موجود في المعاجم اليوم، لاسيما أن هناك من الكلمات ما يصيبها التغير نظرا لظروف تاريخية أو اجتماعية، وهو ما يزيد الإشكالية تعقيدا. كما أن المعاجم تختص ألفاظها بفترات معينة وبتخصصات محددة، وعند ما نحاول فهم معنى كلمة ما، بالنظر إلى المعجم نقع في معيارية التحديد المعجمي المسبق للدلالة، لهذا نلاحظ اليوم وجود أجيال من المعاجم إن صح التعبير، تضيف إلى رصيدها معان جديدة مع كل إصدار جديد، فهل ينبغي أن نطلع عن كل عمل قاموسي جديد لمعرفة دلالة ما؟ ومادامت الكلمات حاملة للدلالة، فإنها ليست سوى علامات لسانية، إلا أن دراستها في سياق معزول على طريقة المعجم، يقلص من حظوظ دلالة استعمالها في الحياة الاجتماعية، وتبقي بذلك في حدود الدلالة التقريرية، وما يثبته المعيار القاموسي، وتبتعد بهذا المنوال عن الواقعية العلمية.

يرى غريماس [82]أن الدلاليات المعجمية حافظت على الكلمة بوصفها وحدة قاعدية في تحليلاتها، مثلما شاع في نظرية سابير وولف التي كانت تصنيفية في عمقها ، إذ لم تعط إلا نتائج جزئية ومحدودة. ومن هنا كانت السيميائيات ثورة على مفهوم الكلمة. لأن ((اللسان ميدان للتمفصلات والمعنى تقطيعي قبل كل شيء. وتاليا إن المهمة المستقبلية للسيميائيات- إلى حد ما- تتمثل في العثور على التمفصلات التي يحدثها الناس في الواقع أكثر مما تتمثل في وضع معاجم للأشياء))[92]. إن هذا النزوع الجديد في البحث عن المعنى يرمي إلى دراسته بوصفه واقعة متغيرة بتغير التمفصلات المعيشية واختلافها، لهذا كله لا ينبغي النظر إلى المعنى بوصفه معطى جاهزا جاثما على صفحات

المعاجم. بل ينبغي تحكيمه إلى المقتضيات التداولية والسنن الاجتماعية.

أما الحد الثالث يبدو أنه يتسع ليشمل ثلاثة عناصر هي الكلمات والجمل والملفوظات، ويمكن إدراجه في الدلاليات العامة التي تسعى إلى الاعتناء بكل الظواهر الدلالية المتعلقة بكل أنساق استعمال اللغات الطبيعية وتمظهراتها، ومنها فهي ((ترتبط بالفروع الدلالية كلها، التي تقتبس منها وجهات النظر المختلفة كلها، ومستويات التحليل اللساني، والفونولوجي، والملفوظي، والمنطقي، والتاريخي، ويمكن النظر إليها بوصفها ميدانا للتخمين وحسب، يظهر مجال دراسة موحد في حدود غير محصورة بدقة))[03]. إن موضوع الدلاليات لا يجد أساسه العلمي في موضوع موحد ووحيد، و يشهد على ذلك توزعه بين عدد من الحدود، ذلك أن نماذج الوصف والتحليلات الدلالية بأسرها مقتبسة من الفروع اللسانية الأخرى مثل الصوتيات والفونولوجيا أو من علوم أخرى بيولوجية؛ وأنثروبولوجية؛ وعلم الاجتماع؛ وعلم النفس؛ و الإعلام الآلي؛ والمنطق. فالتساؤل إذا ما كانت الدلاليات تمتلك مسارا علميا ثابتا، ستكون الإجابة عنه صعبة، ويعود هذا إلى أن أصول كل نظرية مختلفة في أساسها، من حيث منشؤها في ظروف فكرية معينة، وفي فترات مختلفة.

ولما كان للسيميائيات امتدادا واسعا في معالجة الظواهر الدلالية، فإنه لابد من تحديد موقع الدلاليات داخلها، لأن الدلاليات كانت بالنسبة لغريماس عتبة ثانية بعد المعجميات قبل وصوله إلى النظرية السيميائية. إن سيميائيات مدرسة باريس ـالممثلة في شخصها غريماسـ لم تتبلور دفعة واحدة، بل عرفت تراتبا انتقاليا لعلوم ثلاثة: هي المعجميات؛ والدلاليات؛ وانتهاء بالسيميائيات. حيث يعد كتابه «الدلاليات البنوية بغض النظر عن عنوانه ميثاقا للسيميائيات اللسانية»[13].

وما يزيد المسألة تعقيدا، أن الكثير من المفاهيم الدلالية لم تبق حبيسة ما كتبت لأجله في كتب الدلاليات، عندما استثمرها السيميائيون في كتابتهم وبحوثهم عاملين على تطويرها من خلال تطعيمها بمفاهيم أكثر نضجا وتطورا، أخذت بها أبعادا أخرجتها من تلك الدراسة الأولية، ووسعت من حدود إجرائها خدمة لأهداف البحث السيميائي، ولعل هذا كان مصدرا من مصادر الخلط بينهما أيضا. إذن، فهل يمكن القول إن هذا الارتحال للمفاهيم هو مجرد ضرب من التناص النظري الحاصل بينهما؟

وما يعضد هذا الرأي ما نجده من مصطلحات ومفاهيم أصبحت من رصيد السيميائين الآن، و إنما كانت من قبل أساسا موجودة في ثنايا الأبحاث الدلالية السابقة عن النظرية السيميائية، و إذا كان لنا الحق في ذكر نصيب منها قصد التدليل على ذلك نذكر ما يلي: البنية العميقة، والبنية السطحية، ومفهوم التحويل (تشومسكي)،و الحقول الدلالية (بيار جيرو)، المحاور الدلالية، التحليل المؤلفاتي والسيمي، فهل بقيت هذه المفاهيم محافظة على حمولتها المعرفية وأهدافها البحثية كما كانت عليه في الدلاليات؟ أم أصابها التبديل والتغير في حضن السيميائيات؟ هل حضورها في الكتابات السيميائية كان من قبيل استثمارها ليس إلا بعد ما أثبت نجاعتها في الدرس الدلالي؟ هل يعني هذا التوارد للمفاهيم والمصطلحات وجود امتداد طبيعي بين الدلاليات والسيميائيات؟ وهل يدل اختلاف الأهداف المرجوة بينهما في الوقت نفسه على قطيعة فعلية حدثت؟

2ـالدلاليات بوصفها جزءا من السيميائيات العامة:

إذا رمنا العودة إلى السيميائيات الأمريكية فإننا نلحظ تطويرا لنظرية العلامات عند بورس أبان عنه شارل موريس من منظور سلوكي، وتلاه في ذلك عدد من المناطقة واللسانيين، ومن ثم كانت الدلاليات جزء عندهم من السيميائيات، ويندرج هذا التصور ضمن التجزئة الثلاثية المقدمة من قبل بورس إلى السيميائيات بوصفها مكونة من ثلاث علوم هي[23]: النحو الخالص، و المنطق الحقيقي و البلاغة الخالصة، و أعاد صياغتها الأمريكي شارل موريس في كتابه» أسس نظرية العلامات» 1938، وههنا في ظل مفهوم بورس هل يمكن القول بأن السيميائيات بمنزلة العلم المشترك الذي يأخذ منه مجموعة من ضروب العلوم والمعارف؟ هل يكون الحديث عن علوم دلالية متعددة أم عن علم واحد؟

والذي يعنينا من هذا كله أن علاقة وثيقة الصلة بين السيميائيات والدلاليات، التي هي سلفا بلا شك علاقة عموم بخصوص، سواء كما أقر ذلك أتباع بورس أو كما حددها غريماس الذي بدوره يقول بذلك في كتابه الدلاليات البنوية:[33] ((مادامت الدلاليات من حيث موضوعها تعنى بدراسة الألسن الطبيعية ووصفها، فهي في الحقيقة جزءا من علم الدلالة الواسع جدا الذي هو السيميائيات بالمعنى السوسيري للمصطلح)). وإذا جاز لنا أن نشير إلى الاختلاف الموجود بينهما، ألا يمكننا القول بأن أتباع بورس انطلقوا من قناعة مسبقة أو من فكرة قبلية معترفين بأن السيميائيات علم عام يضم فروع ثلاث، يمكن تحديها بالنظر إلى سيرورة العلامة، ومن ثم كانت بالنسبة لهم التداوليات تتموضع في

مجال المؤول والدلاليات في مجال الموضوع والتركيب في مجال الممثل. ويمكن التمثيل لهذا بالمثلث الاتي:[43]:

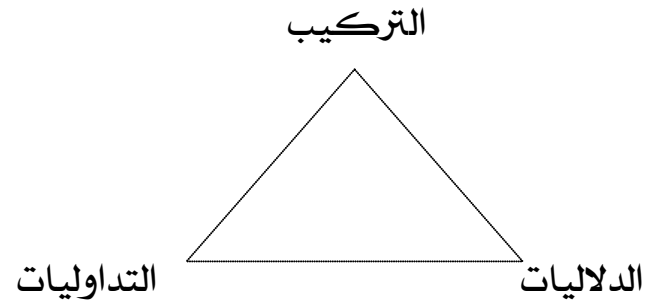

يرى أدام شاف أن شارل موريس انطلق من مصادرة فحواها أنه ((ينبغي على أي نظرية عامة للعلامة أن تأخذ في الحسبان العلاقة الموجودة بين العلامة والذي ينتجها أو يشعر الإنسان بها في الوقت نفسه، هذه الوجهة هي لسؤال عام كان مهملا من قبل التخمينات المنطقية قد حلل من قبل الذرائعية pragmatisme وعلم النفس السلوكي))[53]. وعليه كانت رغبة موريس تهدف إلى بناء سيميائيات عامة ((لفهم مبادئ وأشكال النشاط الإنساني وعلاقاتها المتبادلة، لأن كل هذه النشاطات، وكل العلاقات تعكسها العلامة))[63]. وفقا لهذا النشاط النظري المؤسس على مقاس تداولي، أخذت العلامة موقعا جوهريا يلامس الواقع الإجرائي لسيرورة الدلالات المفتوحة داخل المجتمع، من أجل وصف كامل منتظم للوقائع الدلالية باعتبارها غير معزولة بمفردها، بل تشترط معرفتها سلفا إدراك المستوى التركيبي و التداولي، من منطلق أن هنالك تدرجا يسهم في بناء العملية السيميائية وتنسيقها بالنظر إلى منطق العلامة.

ومن هنا يمكننا القول إن المفهوم المركزي الجامع لهذه المراحل الثالث هو مفهوم العلامة المكون من اجتماع ثلاثة أشياء في واحد، أو ما يسميها اتحاد شيئين في شيء ثالث متميز عن الأولين، فالعلامة عند بورس هي علامة عامة وثلاثية وتداولية[73]، وكل علامة هي ثلاثية بمعني أنها تستوجب مشاركة ثلاث لحظات وهي العلامة (الممثل)، الموضوع (الممثل) والمؤول المنتج لعلاقتهما. إن كل عملية سيميائية، كائنة ما كنت طبيعتها، هي بحاجة حتما لتداخل المراحل الثلاث المكونة لنظرية العلامات.

يشير رو بير مارتي إلى أن هذه الأجزاء الثلاثة للسيميائيات هي بمثابة فترات تأخذ بمعناها الفلسفي، ويسميها موريس بالأبعاد السيميائية ويسميها بيار جيرو Pierre Guiraud بالعوامل، ويعرفها موريس حسب ما ذهب إليه جون لاينز؛ بقوله:[83] ((إن التداوليات هي ذلك الجزء من السيميائيات الذي يعالج الأصل والاستعمال وآثار المعنى في السلوك، والدلاليات تدرس دلالة العلامات في حدودها الممكنة كلها، والتركيب يعالج تنظيم العلامات دون أن ينشغل بدلالتها الخاصة أو بعلاقتها بالسلوك حيث تتمظهر)). إن هذا الضرب من التقسيم يسعى إلى تكريس فلسفة الدلالات المفتوحة التي لا يمكنها أن تتحقق إلا في ظل الإقرار بعلاقة العلامة بمستعملها، وبموضوعها الذي تعينه في الواقع العيني، وبعلاقة العلامة بالعلامات الأخرى نفسها.

يشير جون لاينز[93] في أثناء حديثه عن تقسيم الثلاثي إلى أن كارناب يتعارض في التميز الثلاثي مع الصياغة الأولى لموريس، إذ إنه يعمل على حصرها في الألسن الطبيعية والحسابات المنطقية؛ ذلك أنه ((إذا أشرنا صراحة خلال دراسة ما إلى الذات المتكلمة locuteur أو بمصطلح أكثر عمومية مستعمل اللغة utilisateur du langage، نكون بذلك في مجال التداوليات، أما إذا استبعدنا مستعمل اللغة فنحن في مجال الدلاليات، وفى الأخير، إذا استبعدنا كذلك هذه المميزات محللين العلاقات بين التعابير فنحن في مجال التركيب المنطقي))[04]. والجلي أن النقاش كله يتمحور حول مفهوم العلامة بكونها إنتاجا دائما للدلالات يخضع إلى القواعد التداولية والدلالية والتركيبية، مما يعبر حقيقة عن اتساع المجال الإجرائي للغة الطبيعية وبتداخل عناصرها وتعقيدها، إذ تتداخل في تحديدها مستويات متعددة، منها ما يتعلق باستعمال المتكلمين ومقاصدهم الكلامية ومنها ما يرتبط بالقواعد أو التركيب المنظم لذلك البناء.

وفي هذا السياق، كتب ايكو مقالا يقر فيه بفضل سيميائيات بورس في إرساء معالم الدلاليات بعنوان: «بورس والدلاليات الحديثة»، ويهدف من خلاله إلى إظهار خصوبة مفهوم المؤول خلال دراسة العلاقة بين التعبير والمحتوى في إطار نظرية «وظيفة العلامة»؛ بقوله[14]: ((إن دراسة وظائف العلامات ليست إلا جزءا من السيميائيات العامة، وهذه يعنى نظرية الدلالة المُكَمِّلة لنظرية التواصل التي تأخذ في حسبانها سيرورة التلفظ أيضا. لقد أمدنا بورس بإيحاءات عملية لصالح هذه النظرية برمتها)). ومن هنا فإنه يدعو إلى ضرورة دمج الدلاليات في النظرية السيميائية.

وفي المقابل لما سبق ذكره، إن أبنا إلى غريماس نجد السيميائيات عنده معطى بعدي محكوم بانتقال تطورت ضمنه المفاهيم، بغية فهم أفضل للمعنى أولا، ولتجاوز عجز المعجميات والدلاليات ثانيا، بحثا عن حلول جديدة لسد الفراغ المورث أعقاب التعاليم اللسانية اتجاه الدراسة الدلالية، وهذا ما دفع غريماس في الأخير إلى اقتراح السيميائيات كاختيار لامناص منه بعد أن تأكد له ضآلة النتائج التي يمكن أن يتوصل إليها دارس المعجميات أو الدلاليات على حد سواء. ويمكن أن نمثل لهذا بخط مستقيم:

المعجميات	الدلاليات	السيميائيات
1956	1966	1970

←

ومن هنا نجد الارتكاز على السيميائيات في معالجة قضايا الدلاليات اللسانية يكتسي بعدا مهما، لكونه مسعى يتصف بالشمولية؛ والقدرة على استيعاب النماذج الدلالية بأسرها؛ سواء أكان ذلك على مستوى المتصورات النظرية أم الإجراءات التطبيقية، ولهذا وجدنا الكثير من السيميائيين يؤكدون وجوب الاقتداء بالسيميائيات نظرا إلى الأهمية الكبيرة التي تأخذها كل يوم، حيث أصبحت ((تشد إليها الباحثين بوصفها تنسيقا بين العلوم، إن معرفة هاته العلامة ومنوال توظيفها يسمح بفهم ميادين المعرفة وتطبيقاتها كلها)) [24].فهل بعد هذه البسطة المعرفية يمكن الانتهاء إلى القول إن السيميائيات هي فلسفة جديدة لمقاربة المعنى على غرار الدلاليات؟ وهل نستطيع أن ندرس مسائل الدلاليات اللسانية داخل المعطى السيميائي؟

على الرغم من أن الدلاليات اللسانية تمتلك استقلالا نسبيا في معالجتها للمسائل الدلالية، إلا أنها تشهد تواردا واسعا لمؤلفات مختلفة ومتراكمة تغطي مساحة من البحث اللساني والمنطقي، ويعكس هذا الاختلاف تنوعا في وجهات النظر المنتجة، لكن لكونها اهتمت بالدلالة أو العلامة برمتها، فهي في أغلبها تساءلت عن كيفية إدراكها،وكيفية فهمها،وطالما أن هناك من المفاهيم مثل العلامة، الدال، المدلول، دلالة، تتمركز في قلب المسألة اللسانية، فإنه وفي هذا ينبغي علينا أن نربطها بمجالها الواسع مادامت اللسانيات

جزءا من السيميائيات، وبخاصة الجوانب، الصوتية، والتركيبية النحوية، والتداولية الاستعمالية التي تسهم في إيجاد حلول للمسألة الدلالية في جانبها السيميائي العام

الهوامش

1 - Bernard Toussaint, Qu est ce que la sémiologie? , Ed privat, 1978, p. 31

2 - Jean – Marie Klinkenbreg, Précis de Sémiotique générale, publié dans collection points essais, imp. en France 2000.p. 27.

3 - Eco Umberto, la structure absente- Introduction à la recherche sémiotique-, Mercure de France, 1972, p. 24.

4 - Mounin Georges, La Sémantique, éd Seghers, Paris, 1975, p. 8.

5- Voir Mounin Georges, La Sémantique, p. 9.

6ـ أحمد يوسف، سيميائيات التسمية، مخطوط، جامعة وهران.

7 ـ عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب – دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 ، بيروت لبنان 1985 ص 5.

8ـ قاضي عاطف ـ علم الدلالة عند العرب – السيمياءمجلة العرب والفكر العالمي، العدد 18 / 1992 بيروت لبنان ص 127.

9ـ محمد ناصر عجيمي، في الخطاب السردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، 1993، صص 21، 22

10 ـ عبد الله حمادي، تأمل في الخطاب الشعري المعاصر من منظور دلالي، السيميائية والنص الأدبي، ملتقى جامعة عنابة باجي مختار، 15/16ماي 1995، ص 104.

11ـ بوبكر فراجي، المصطلح العربي العلمي ـ ترجمة أم تعريب معاصر، كتابات معاصرة، مج 5، بيروت، 1994. ص73.

12 ـ Pierre Guiraud, la Sémantique, PUF, 1966, p, 6.

13 ـ voir Saussure, Fernande, Cours de linguistique générale, Payot, 1985, p. 33.

14 ـ voir Jean – Marie Klinkenbreg, Précis de Sémiotique générale, publié dans collection points essais, imp. en France 2000.p . 27.

15 ـ Ibid, p.27

16 ـ بركلي هاربيرت، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة قاسم مقدد، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1991. ص117

17 ـ Barthes Roland, Eléments de sémiologique, In, Aventure sémiologique, éd, Seuil 1985, p. 19.

18- Barthes Roland, Eléments de sémiologique, In, Aventure sémiologique, p.43.

19- Ibid, p.43.

20 ـIbid, p. 43.

21 ـLyons Johns, linguistique générale, TD, Françoise Dubios Charlier- David Robinson, éd Larousse, 1972.

22 - Pierre Guiraud, la Sémantique, p.5.

23 ـ Lyons John, Eléments de sémantique, tra . J. Durand, Larousse, 1978, p. 9.

24 - Pierre Lerat, Sémantique descriptive , edition Hachette, Paris , 1983p..3.

25 ـ Lerne Tampa – Meecz, La Sémantique , Que sais – je? , Paris. 1988. p.7

26 - Ibid, p 7.

27 ـ Mounin Georges, Clefs pour la linguistique, p. 81.

28 ـ Greimas, A .J, et courtés, J, Sémiotique, dictionaries raisonné de la théorie du langage, p.326.

29 - Barthes Roland, Eléments de Sémiologie, In, aventure sémiologie, p. 53.

30 - Lerne Tampa – Meecz, La Sémantique , Que sais – je? , Paris. 1988.p.8.

31 - J- C. Coquet, Sémiotique – L'école de Paris, Ed Hachette, paris, 1982, p..15

32 ـ Bertil Malmberg, La nouvelle tendance de la linguistique, p.191.

33 ـ Greimas, A .J, Sémantique structurale, p. 7

34 - voir Nicole Everaert- Desmedt, le Processus interprétatif, pierre mardaga éditeur. p. 28.

35 ـ Schaff Adam, Introduction à la sémantique, trad Gerges Lisowiki , Paris, ed, anthropos, 1969, p. 80.

36 ـ Ibid, p. 80

37 ـ Marty Robert, 99 Réponses sur la sémiotique, réponses n38°.

38 ـ Lyons John, Eléments de sémantique trad. J. Durand, Larousse, 1978. p. 97

39 ـ Lyons John, Eléments de sémantique trad. p..97.

40 ـ Ibid, p. 97.

41 ـ Eco Umberto, Pierce et la sémantique contemporaine, In Langage n°: 58 éd , Larousse,1980, p .75.

42 ـJosette Rey –Debove, Lexique Sémiotique, Paris, 1ed, PUF, 1979, p. 5.